سورة البقرة

المحاضرة العاشرة

الآيات من 45: 49

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

" وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ (45)"

أمرنا الله تعالى بالاستعانة بالصبر والصلاة.

- ومن نتائج الاستعانة بالصلاة:
  - الانتصار على النفس والهوى لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

{ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ....} (العنكبوت:45)

فالصلاة تنهى عن ما لا يليق بالعبد المسلم، فلا يليق بمسلم أن يعصي ربه ولا يليق بمسلم أن يعلم مرض قلبه ولايبادر بالعلاج.

فإذا أقمت الصلاة كما أمرك الله عز وجل فإن إقامتها سوف تمنعك من هذه الموبقات والمهلكات التي تهلكك في الدنيا قبل الآخرة وتعينك في الانتصار على النفس.

فالصلاة شعيرة عظيمة ضيَّعها الكثير من المسلمين، إما بالترك وإما بعدم الأداء الواجب.

(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ)

الكبيرة إما إنها عائدة على الاستعانة أو الصلاة، وأكثر العلماء أنها عائدة على (الصلاة)؛ فهي كبيرة لكن ليست على (الخاشعين) لأن الخاشع يحب الصلاة، قال النبي ﷺ : حُبِّبَ إليَّ من دُنْياكمُ النِّساءُ والطِّيبُ وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاة (إسناده صحيح / أخرجه النسائي (3939)، وأحمد (14069)

وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ قام إلى الصلاة؛ فهي الراحة وقرة العين.

- **ومن نتائج الاستعانة بالصلاة أيضًا بسط الرزق:**

إذا صليت صلاة صحيحة وأمرت أهل بيتك بالصلاة واصطبرت عليها يبسط الله رزقك، قال تعالى:{ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ (132)} (طه)

واصطبر عليها: أي تأديتها بخشوع كما يحب ربنا ويرضى حتى نحصِّل ثمرتها.

والرزق رزقان: جليّ وخفيّ، والصلاة تزيد كلا منها.

فلماذا علَّق الله عز وجل الصلاة بهذه الأمور العظيمة؟!

قال العلماء: إذا أدى المسلم الصلاة بخشوع القلب بين يدي الله تبارك وتعالى سيصل لأعظم شيء وهو (الزهد في الدنيا)، وهذا يزيد العبد قربًا إلى الله عز وجل وحبًا له، والزهد محله القلب وليس الظاهر.

- ومن نتائج الخشوع في الصلاة:

- **مرحلة الصديقية.. وهي الصبر على ترك الرئاسة وترك التفرد وحب الأنا.**

ونجد ظاهر الآيات أن الله تعالى يرشد بني إسرائيل لترك الأمور الدنيوية، ولا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، وذكرهم بالنعم، ونهاهم عن بيع دينهم ولمّا أمرهم بتلك الأمور وجههم إلى الحل وهو(الخشوع في الصلاة)؛ لأن كثرة النعم، وتفضيلهم على عالمي زمانهم ، ووجود الأنبياء بينهم ملأت قلوبهم بالغرور وحب الاستحواذ والرئاسة فوجههم للحل وهو الاستعانة بالصبر والخشوع في الصلاة.

- **نور في القلب، زكاة في النفس، نور بصيرة، إرشاد من الله ومعيته.**
- **حبس النفس وتخليصها من:**

- عبادة الهوى

- إشراك الشيطان

والتوجه لعبادة الله الواحد الأحد.

مَن صبر على دناءة الدنيا ومكاره النفس وعلى الأمور التي تكرهها نفسه؛ زال الله تعالى عنه كدر الدنيا وأنار قلبه وعقله بأشرف المعارف والعلوم ألا وهو العلم عن الله.

سؤال: أيهما أفضل الصبر أم الشكر؟

بين العلماء خلاف؛ فهناك مَن قال:

- أن للصبر فضيلة على الشكر، واستدل بقوله تعالى:

■ {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (111)} (المؤمنون)

■ وقوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (153)} (البقرة) وليس هناك أعظم من معية الله.

■ وقوله تعالى:{ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (48)} (الطور)

■ في قول الله تعالى عند نهاية قول دعاء الاسترجاع {ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (156) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (157)} (البقرة) وعد الصابرين بثلاثة أشياء عظيمة:-

1- صلاة من الله، وهي: الثناء في الملأ الأعلى على عباده.

2- رحمة من الله، وهي إيصال المنافع إلى العبد بكل طريق ودفع المضار عنه.

٣- الهداية من الله.

وكل هذه الأمور العظيمة وردت في الصبر ولم ترد في الشكر.

■ **وقد أمر الله تعالى أولي العزم من الرسل بالصبر في قوله تعالى:**

{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ..(35)}(الأحقاف)

- كل هذه أدلة على أن للصبر فضيلة على الشكر..وللعلماء في هذا آراء لكن أردت فقد توضيح فضل الصبر.

سؤال: كيف نصل للكمال الإنسانى من خلال قصة بنى إسرائيل؟

الكمال الإنسانيّ في الأقوال والأفعال والعبادات مع الله عز وجل يكون بثلاثة أشياء:-

1- بعلم نافع يوصل إلى الله وليس علم فضول ولاحظّ نفس.

2- عمل يعمله.

3- حال يترتب عليه العلم والعمل؛ ويكون ذلك بمراقبة أحوال النفس

وهي الأساس؛ فعلى قدر علمك وعملك تصل لحال معين.

فليراجع المرء حساباته في العلم والعمل (فمن الناس):

- مَن يضل الطريق في العلم فلا يسلك العلم الصحيح.

- ومنهم مَن يتعلّم العلم الصحيح؛ ولكنه يضل الطريق في العمل والتطبيق.

- ومنهم من يكون الخلل لديه في الاثنين معًا !

"ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (46)"

الظن لا يصح في أمور الاعتقاد؛ فأمور الاعتقاد لا بد فيها من اليقين أما الأمور الظنية ربما تكون في المسائل الفقهية(ترجيح عالِم لمسألة مثلا)

فكيف في هذه الآية جاءت كلمة(يظنون) مع أمر عقدي ألا وهو البعث؟

قال بعض العلماء: العرب تستعمل لفظ(الظن) في الأمور اليقينية والأمور الظنية(الشك)

**** أمثلة لـ(الظن) بمعنى الشك :**

- قال تعالى:{ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ (36)} (يونس)

- وقوله تعالى:{ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)} (البقرة)

الظن هنا بمعنى: الشك

**** أما هنا في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ } الظن هنا بمعنى اليقين.**

★على قدر اليقين برجوعك إلى ربك يكون علو الهمة

انظر إلى أحوالك وأعمالك تعرف ميزان قوة يقينك.

" يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (47)"

يذكِّرهم تبارك وتعالى بالنعم الكثيرة، والمقصود بها القيام بالشكر وليس تعداد النعم

قال رسول اللهﷺ: (وإِنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ) [صحيح مسلم 1015]

فقال تعالى للمؤمنين: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ (172)} (البقرة)

وقال تعالى فى الرسل:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (51)} (المؤمنون)

فأمر المؤمنين بالشكر وأمر المرسلين(اعملوا)، والعمل بإزاء الشكر.

فبجمع الآيات نجد أنه لمّا أمر الله تعالى المرسلين بالعمل الصالح والمؤمنين بالشكر، عُلم أن عمل الشكر هو العمل الصالح؛ فقالها للمرسلين ومن الأَوْلى أن يأتِ بها المؤمنون المتقون.

****ذِكر النعمة القيام بشكرها، وشكرها يكون بالعمل الصالح.**

فمثلا: رجل أتاه الله مال، لا يصح أن يحمد الله بلسانه فقط وهو لا يخرج حق الله في هذ المال من زكاة أو مساعدة للمحتاج أوغيره؛ فمثل هذا قد ذكر نعمة الله فقط ولكن لم يؤدِ شكرها.

(وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)

في الآية المتشابهة الأولى {يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ (40)} ذكر النعم،

أما هنا في هذه الآية لم يذكر تبارك وتعالى النِعَم.. فلماذا؟

لأن نعمة رفعة الجاه والمكانة أعظم النعم والعطايا على الإطلاق بل أعظم من نعمة العطاء المادي أو المتاع البدني!

ومن المكانة لبني إسرائيل أن جُعل الأنبياء فيهم

ولذلك الله عز وجل لمّا أراد أن يثني على أهل الكفر بالشر أخَّر ذِكر المنزلة، ولمّا أراد أن يثني على أهل الخير بالخير قدَّم ذِكر المنزلة

قال تعالى في شأن الكفار:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (6)} (البينة)

أخَّر (أولئك هم شر البرية) لأنها شر

وفي شأن المؤمنين قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (7) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ(8) } (البينة)

قدَّم المنزلة (أولئك هم خير البرية) على النعيم!

ولذلك قلوب الصالحين المقربين المتقين تهفو إلى رضا الله تعالى وأن يكون لها منزلة عنده ، بينما قلوب المأمولين(عامة المؤمنين) تهفو إلى الجنة (همّه فقط الجنة).

(ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

في بداية الآية (ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ)

(نِعۡمَتِيَ): المفرد إذا أُضيف يَعُمّ ؛ أي: اذكروا النعم

وذيَّل الآية بقوله تعالى: (وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ) التفضيل هنا: المكانة والرفعة.

هنا عطف الخاص على العام ليبيِّن أهمية الشيء: أن التفضيل من النعم، وهي أعظم من كل النعم.

أي لتبيين وتأكيد أهمية(التفضيل).

☆ سؤال: كيف الجمع بين:

قوله تعالى: {وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} ،

وقوله تعالى: {كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ...(110)}(آل عمران) ؟

قيل المراد بـ(العالمين) هنا: عالمو زمانهم ، وليس تفضيلًا مطلقًا

بدليل:

1- الأحاديث المصرَّحة في قوله تعالى{ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ }

قال رسول اللهﷺ : (إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً ، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللَّهِ) [سنن الترمذي3001] أن المسلمين خير أمة في كل هذه الأمم، فخير الأمم وأكرمها على الله هي أمة محمدﷺ.

2- قوله تعالى في شأن أهل الكتاب: {مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} (المائدة)

دلَّ على أن الأعلى منهم(أمة مقتصِدَة)، والكثير منهم ساء ما يعملون

أما في شأن المسلمين قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)} (فاطر)

السابق بالخيرات في أمة محمدﷺ غير موجود في الأمم السابقة.

سؤال: أين النعمة التي أنعمها الله تعالى على بني إسرائيل؛ فهم حرَّفوا التوراة ومخلَّدون في النار فكيف ذلك مع قوله تعالى (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)؟

وقال تعالى أيضا {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)} (النساء) فالذين أطاعوا الله والرسول هم من أنعم الله عليهم مع الصديقين والشهداء والصالحين، وبنو إسرائيل لم تطع النبيﷺ وشاقوه؛ فخرجوا من هذه الآية.

وقال تعالى:{ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ..(150)} (البقرة)، وآيات كثيرة أخرى تدل على أن النعمة للمؤمنين، فكيف يكون بنو إسرائيل من الكافرين المخلدين في النار بالرغم من قوله تعالى: (اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِيَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَلَمِينَ)؟

الجواب: يجب التمييز بين مطلق النعمة، والنعمة المطلقة :-

1- مطلق النعمة : الخير يصل للجميع(مسلم وكافر ومنافق) في الدنيا.

2- النعمة المطلقة: النعم الواصلة للمؤمنين فقط في الآخرة لا يشاركهم فيها كافر؛ والتي منها قوله تعالى {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا (69)} (النساء)

" وَٱتَّقُواْ يَوۡما لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡس شَيۡـٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَـٰعَة وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡل وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ(48) "

بعدما ذكّرهم الله بالنعم حذَّرهم؛ فلماذا حذّرهم ولماذا خصّ (النفس) بالذكر؟

لأن اليهود كانت تزعم أن آباءهم من الأنبياء، وما لهم من المكانة السابقة، ... وأن هذا سيشفع لهم يوم القيامة من العذاب فحذّرهم الله عز ّوجل.

(وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا) هنا إضمار وهو (واتقوا عذاب يومٍ) فيه من التوبيخ والعذاب المهين.

(لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡس شَيۡـٔا) يجزي غير يُجزئ..

يَجزي معناها: يقضي

أما يُجزئ فمعناها: يكفيه

فالمعنى هنا في الآية: أي ليس هناك نفس ستقضي وتدفع عنك مطلقًا لا الأهل ولا الأنبياء لن ينفعوكم، قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)} (المدثر)

(وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)

شرط الشفاعة أن :- يرضى الله تعالى ويأذن

والله عز وجل لا يرضى عن الكفار، ولن يأذن بشفاعة شافع لكافر، باستثناء شفاعة النبيﷺ في عمه أبي طالب لمساعدته للمسلمين

لقولهﷺ(لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَومَ القِيامَةِ، فيُجْعَلُ في ضَحْضاحٍ مِن نارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي منه دِماغُهُ) [صحيح مسلم210]

غير ذلك ليس هناك أي شفاعة في الكفار

(وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) العَدل هو الفداء

والعدل في كلام العرب على وجهين:

1- إما العَدل (بالفتح) وهو فداء شيء مقابل شيء ليس من جنسه؛ إنسان يفتدي نفسه يوم القيامة بقراب الأرض ذهبًا؛ فلا يُقبل منه.

2- أو العِدل (بالكسر) وهو فداء شيء مقابل شيء من جنسه.

ومن العلماء من قال: أن العَدل، والعِدل بمعنى واحد.

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)

أي يمتنعون من العذاب.

- إذًا نفي الله عنهم أسباب النجاة الثلاثة:

1- الشفاعة

2- والعدل (الفداء)

3- والنصر(فلا نصر إلا من عند الله)

عطف التحذير (وَٱتَّقُواْ يَوۡما لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡس شَيۡـٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَـٰعَة وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡل وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ) على التذكير (ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّى فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ) في هذه الآية حتى يبيّن لهم أنهم في أزمة عظيمة لا ينجون منها إلا باتباع خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وقفة

منشأ الغرور والكبر عند بني إسرائيل أن كان فيهم أولوا العزم من الرسل وأنبياء كُثر لم يأتوا في الأقوام الأخرى، وأيضًا عصوا ربهم مرارًا ومع ذلك عفا الله عنهم وأكرمهم..

إذًا منشأ غرورهم: كثرة النعم، وكثرة الرحمة والعفو، وعدم المؤاخذة، وحتى إذا كان هناك مؤاخذة تأتي بعدها رحمة.

مثل هذا قد يحدث لبعض طالبات العلم فمع ما تقدمه لدين الله عز وجل فقد تظن أن لها مكانة عند الله وهذا الظن لا إشكال فيه ولكن الإشكال والخطأ الأكبر أن يؤدي هذا إلى مساحة من التقصير أو التفريط ثم عدم المحاسبة والمراقبة لوجود أعمال صالحة كثيرة،

فهذا من الغرور الذي قد يؤدي إلى الانتكاس فتتساءل من أين جاء هذا الانتكاس ومن أي الأبواب دخل!!

فينبغي الحذر من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

إنما علامة العلم النافع والعمل المقبول أن يزداد العبد انكسارا بين يدي الله عز وجل.

" وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ (49)"

(وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم)

تكرار سياق (وإذ) واو العطف مع عدم ذكر العامل في إذ ؛ لأنه في سياق بيان تعداد النعم، وتكرار الأقاصيص؛[وإذ نجيناكم، وإذ فرقنا، وإذ واعدنا،...]

[آل] لها ثلاثة معاني:

1- تُطلق على (الرجل العظيم) الذي له مكانة

كما جاء في سياق الحديث: (لقد أُوتيَ هذا مِزمارًا مِن مَزاميرِ آلِ داودَ داود....)[إسناده صحيح] أي: صوت حسن

والمعروف أن (داوود) صاحب الصوت الحسن وليس(آل داوود).

2- تُطلق على (الأتباع)

قال تعالى:{وَحَاقَ بِّاٰلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (45)} (غافر) أي: فرعون وأتباعه.

3- وتأتي بمعنى (أهل)؛ أهل بيت الرجل، زوجاته وبناته

قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)} (الأحزاب) أهل بيت الرسولﷺ؛ زوجاته وأبنائه

(يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)

السَوْم: الذهاب في طلب الشيء

****وهو لفظ لمعنى مركب من (الذهاب والطلب) كقول سَمَتْ الإبل: أي ذَهَبَتْ، جَرَتْ، ومنها الإبل السائمة.**

- وقد يأتي السَوْم بمعنى الطلب؛ سُمْتُه كذا: طلبْتُ منه كذا

(يَسُومُونَكُمۡ)

ـ السوْم هنا بمعنى ذَوْق العذاب أو إدامة العذاب

يسومونكم: يذيقكم أو يديمون العذاب.

(سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ)

السوء: جنس العذاب

سوء العذاب المراد: جنس العذاب السيئ

الاستعباد، والاستعمال في الأعمال الشاقة، والإهانة،...وكل أنواع العذاب كان فرعون وقومه يسومون بني إسرائيل هذا السوء من العذاب.

وقفة

- في قوله تعالى فى سورة الأعراف { وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ) (141)}

هاتان الآيتان في (البقرة، والأعراف) من المتشابهات، سنجد كلمة (يذبحون) في البقرة، وكلمة (يقتلون) في الأعراف ليس بهما واو للعطف لماذا؟

قال العلماء: لأن جملة (يذبِّحون) في البقرة، و(يقَتِّلون) في الأعراف (بدل اشتمال) من جملة (يسومونكم سوء العذاب) فلم يذكر واو العطف.

أما في قوله تعالى سورة إبراهيم { إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ(6)} (إبراهيم)

نجد هنا قد ذُكرت (واو العطف)

(ويذبِّحون) (ويستحيون) لأنه في مقام تعداد النعم.

إذا في البقرة والأعراف أسلوب، وفي إبراهيم أسلوب آخر

ويدل هذا على براعة البيان والكلام، وحُسن التفنن في إعادة القصة بأسلوب مختلف.

في الأولى (البقرة والأعراف) بدل اشتمال عن جملة يسومونكم

وفي الثانية (إبراهيم) سياق الكلام فيه تعداد للنعم (ويذبِّحون، ويستحيون، (وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)

واو العطف.. حتى يبيِّن تكرار النعم

فكُررت بأسلوب مختلف في غاية البراعة والجزالة والعظمة.

سقطات التفسير الإشاري الصوفي:-

قيل أنه ذُكر لفظ (يذبِّحون) في سورة البقرة، لأن البقرة تُذبح !!

أما في الأعراف لم تُذكر يذبحون وقيل يقطعون !!

وماذا عن الموضع في سورة إبراهيم (ويذِّبحون)؟!!

فهذا ضلال وسلب للعقول !!

(وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ)

استحياء النساء

لما بيّن الله المصائب والبلاء الذي كان ينزل على بني إسرائيل، ذكر منه استحياء النساء

يقول تعالى:{ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (49)} (الشورى)

إذًا النساء هبة!

☆ <u>لماذا ذكرها الله تعالى في تعداد المصائب والبلاء الذي نزل بهم؟</u>

المرأة هي سبب في وجود البشرية كلها وبالرغم أنها هبة ونعمة إلا أنه إذا فُعِل بها الفاحشة واستعملت في الفواحش، وذُلتْ وأُهينت؛ فتصبح حينئذ عارًا وعذابًا شديدًا.

والخوف على الذرية ليس نقصًا أو به شيء وأشار القرآن إلى هذا المعنى

{وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا (9)} (النساء)

(وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ)

كلمة البلاء قد تأتي بمعنى الخير وقد تأتي بمعنى الشر، قال تعالى :

{وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ (35)} (الأنبياء)

فهل المقصود بالبلاء العظيم هنا هو(النِعَم) أي أن الله نجاهم من آل فرعون ومن ذبح الأبناء واستحياء النساء وأن هذ كلها نعم من الله على بني إسرائيل؟ أم أن هذه كانت (ابتلاءات) لديهم ووربنا نجاهم منها؟

قولان للعلماء:

1- من العلماء من قال أن البلاء العظيم هنا هو أن الله نجاهم من آل فرعون؛ والبلاء هنا بمعنى النعمة.

2- لكن جماهير العلماء على أنها في الآية بمعنى المصائب التي وقعوا فيها من عذاب آل فرعون، وكيف أن الله أنقذهم من هذه الأمور العظيمة الشديدة، فبيّن الله عز وجلّ كم كانت نعمته عظيمة على بني إسرائيل.

جزاكم الله خيرا...

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.